الشواهد الشعرية في تفسير "المنار" لمحمد رشيد رضا (دراسة معجمية)

Poetic Evidence in the Interpretation of "Al-Manar" by Muhammad Rasheed Raza (Lexical Study)

Nazia Gohar
Research Associate, Department of QEC -AIOU
Email: nazia.gohar@aiou.edu.pk
Dr. Amin Ali
PhD Arabic National University of Modern Languages – Islamabad
E&S Edu Department Swabi (KP)
E-mail: alimudassir1984@gmail.com

Abstract
lexical study is the study of words or vocabulary and their meanings in one language. Lexical study is an important element of the elements on which dictionaries and language books are built, and it comes in the first place in terms of its number and spread, but it is not required for it to be lexicographical only that it appears in the books of dictionaries, but many scholars of interpretation and hadith used this andical study to clarify the meanings of the vocabulary mentioned in the Qur'an And talk. Imam Muhammad Rasheed bin Ali Raza was a linguist before he was an interpreter, so when he did this great work, he chose the approach of linguists in interpretation, which is to bring poetic evidence to explain the meanings of the Qur'anic vocabulary.
Keywords: Lexical Study، Vocabulary, Meanings, Qur'an, Interpretation Linguists

الدراسة المعجمية

هي دراسة الكلمات أو المفردات ومعانيها في لغة واحدة أو عدد من اللغات، وتهتم هذه الدراسة ببيان مشتقات الكلمات وأبنيتها ودلالتها المعنوية والإعرابية، والتعابير الاصطلاحية، والمترادفات، وتعدد المعاني لكلمة واحدة.[1]

أن الدراسة المعجمية هي تحديد المعاني الكبرى للمصطلح الأهم في المعاجم تحديدا يحرص ما أمكن على تقديم الحسي من المعاني على العقلي، والوضعي على المجازي، واللغوي على الاصطلاحي. [2]

الدراسة المعجمية عنصر مهم من العناصر التي تبنى عليها كتب المعاجم واللغة، وهي تأتي في المرتبة الأولى من حيث عددها وانتشارها، ولكن لا يشترط لكونها المعجمية أن ترد في كتب المعاجم فحسب بل استخدم كثير من علماء التفسير والحديث هذه الدراسة المعجمية لبيان معاني المفردات الواردة في القرآن والحديث.

الإمام محمد رشيد بن علي رضا كان لغويا قبل أن يكون مفسرا، فلما قام بهذا العمل الجليل اختار منهج اللغويين في التفسير وهو إتيان الشواهد الشعرية لبيان معاني المفردات القرآنية, فالشواهد هي أساس وضع عليها علماء اللغة قواعدهم، قد يكون مصدر الشاهد عندهم من القرآن، يقال شاهد قرآني، فإذا كان مصدره الحديث النبوي الشريف كان شاهدا حديثيا، وكذلك الشاهد الشعري، والنثري، وهناك تقسيم آخر للشواهد باعتبار نوع الحقل المعرفي الذي يرد فيه، فيسمى الشاهد النحوي، والشاهد البلاغي، والشاهد المعجمي، ويهمنا هنا الشواهد المعجمية التي وظيفتها إثبات صحة استخدام الكلمة أو خطئها,كما يهمنا الشواهد الشعرية التي مصدرها الشعر العربي، وذلك للدراسة المعجمية للشواهد الشعرية في تفسير"المنار".

تشكل الدراسة المعجمية للأدلة الشعرية جزءًا كبيرًا من تراثنا المعجمي. بُنيت قواميس اللغة العربية على أساس الشواهد الشعرية ، فنجد اهتمامًا كبيرًا بالدليل الشعري عند ابن منظور في لسان العرب ، والجوهري في الصحاح ، والزمخشري في أساس البلاغة ، و الأزهري في تهذيب اللغة. فاهتموا بضبط اللغة، والحفظ على أكبر قدر من تعابيرها ، وحمايتها من الضياع والنسيان. وأشار علماء اللغة إلى المعاني المتعددة منها المعاني الحقيقية ومنها المجازية للفظ الواحد، كما أشاروا إلى التطورات الدلالية الحديثة لمعاني الألفاظ، ففي هذا الفصل ننظر في تفسير المنار لنستخرج الشواهد الشعرية التي أوردها رشيد رضا في شرح الكلمات الواردة في الآيات القرآنية. لنعرف كيف استفاد المفسر من جهود اللغويين في شرح معاني كلمات القرآن بذكر الجوانب السياقية المختلفة والمتعددة. والمعاني التي تسببها الكلمة سواء كانت مفردة أو ضمن سياق معين مع ذكر شواهد من الشعر العربي القديم.

نور

وَأَنْتَ لَمَّا ظَهَرْتَ أَشْرَقَتِ الْ أرض وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأُفُقُ(3)

فنحن في ذلك الضياء وفي الـ ... نور وسبل الرشاد نخترق(4)

المعنى: قال العباس بن مرداس[5] في مولد النبي- صلى الله عليه وسلم- لما ولدتَ "أشرقت وضاءت بنورك الأفق" "فنحن" الآن "في ذلك الضياء" نهتدي به إلى ما فيه السعادة الأبدية.[6]

هذا الشعر للعباس بن مرداس، فالشاهد في قوله (بنورك), وبهذا الشاهد بين الإمام محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى المعاني الخفية الموجودة في "كلمة "بنورهم" الواردة في قوله تعالى {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ}[7] فالنور الذي أشرقت به الأرض ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم هو نور الإيمان والهداية, وذكر الإمام لتأكيد هذا المعنى قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا}[8]. فالنور نُورُ الْإِسْلَامِ الذي أضاء قلوبَ مَن حوْلَهُم مِنَ الْمؤْمنينَ الْمخلِصينَ ثم أكد هذا المفهوم بقوله تعالى:

{أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ}[9].

تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ

يَا بَيَاضَ الْقُرُونِ سَوَّدْتَ وَجْهِي ... عِنْدَ بِيضِ الْوُجُوهِ سُودِ الْقُرُونِ

فَلَعَمْرِي لَأُخْفِيَنَّكَ جَهْدِي ... عَنْ عِيَانِي وَعَنْ عِيَانِ الْعُيُونِ

بِسَوَادٍ فِيهِ بَيَاضٌ لِوَجْهِي ... وَسَوَادٍ لِوَجْهِكِ الْمَلْعُونِ(10)

استشهد الإمام بهذه الأبيات في تفسير التعبير الشائع عند العرب والذي في قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ }[11]. وذلك في تأييد هذا الاستعمال الشائع عند العرب لوصف الكاذب بسواد الوجه، وتتلألأ الوجوه بهجة وسرورا بالشرف والرفعة وهو ما يعبر عنه ببياض الوجه، وتوجد لها نظائر في كتاب الله منها قوله تعالى : { ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة }[12] وقوله تعالى: { ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة }[13] وقوله سبحانه : {وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة }[14] وقوله سبحانه : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة }[15] وأيضاً قوله تعالى:{ تعرف في وجوههم نضرة النعيم }[16] ومنها قوله: {يعرف المجرمون بسيماهم }.[17] ولقد فسر المفسرون هذا البياض بالمجاز عن الفرح والسرور، والسواد عن الغم، كما في قوله تعالى:

{ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم}.[18]

أَحْيَاءٌ

يَقُولُونَ: إِنَّ الْمَرْءَ يَحْيَا بِنَسْلِهِ ... وَلَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَسْلُ

فَقُلْتُ لَهُمْ: نَسْلِي بَدَائِعُ حِكْمَتِي ... فَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَسْلٌ فَإِنَّا بِهَا نَسْلُو[19]

ذكر صاحب تفسير "المنار" هذين البيتين الذين قالهما أبو الفتح البُستي، في تفسير قول الله تعالى:{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[20]. نجد في هذين البيتين اللوم وتضعيف قول الذين قالوا: إن المرء يحيا بنسله وأولاده، وليس له ذكر إذا لم يكن نسل. وبعد تضعيف أفكارهم عن النسل بين رأيه السديد بقوله: فقلت لهم: نسلي بدائع حكمتي، فإن لم يكن نسل فإنا بها نسلوا. أبو الفتح البستي قام بتقييم الأفكار ، ونجد نفس الظاهرة في الآية عن حياة الذين قتلوا في سبيل الله. فأنهم أحياء مذ قُتلوا , ثم بين على سبيل اللوم والتضعيف أقوال الذين قالوا: إنهم أحياء بحسن الذكر، والذين قالوا: إنهم أحياء بأجسادهم كحياتنا الدنيا يأكلون ويشربون وينكحون في قبورهم كسائر أهل الدنيا، ولا يتفق من يقول إن إجسادهم ترفع إلى السماء حياة جسدية.[21] وكل هذا مستبعد، فينصح الإمام بعدم البحث في كيفية هذه الحياة وأحوالهم كما ذكر في سورة البقرة في قوله تعالى:{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ }[22]. هم أحياء في عالم غير عالمكم ولكن لاتشعرون بحياتهم إذ ليست في عالم الحس الذي يدرك بالمشاعر.

أرب

فَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنَّا لُبَانَتَهُ وَلَا انْتَهَى أَرَبٌ إِلَّا إِلَى أَرَبِ[23]

معنى: لم يقضِ أحدٌ حاجتَه مِن الليالي لأنَّ حاجاتِ الإنسانِ لا تَنقضي وهو قوله ولا انتهى أربٌ إلا إلى أربٍ كما قال الآخر، تموت مع المرء حاجاته، وتبقى له حاجةٌ ما بقي، واللبانة الحاجة والأرب الغرض. [24]

هذا بيت من قصيدة المتنبي (بحر البسيط) قافية الباء، وهو شاعر حكيم، وفي هذا البيت من الحكم البالغة ،يقول:لم يقض أحد حاجته من الدنيا، لأن حاجات الإنسان لا تنقضي، فإذا فرغ من أرب أي غرض انتهى إلى غرض آخر.محل الشاهد في البيت هو اللبانة والأرب، واللبانة: الحاجة، والأرب: الغرض، فهما متقاربان في المعنى. وذكر صاحب التفسير هذا البيت في تفسير قوله تعالى:{ تُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[25].

فالدنيا ليست إلا متاعًا مِن شأنِه أنْ يغرَّ الإنسانَ ويَشغلَهُ عن تكميلِ نفسه بالْمعارف الحقيقيةِ، فينبغي له أَن يحذر من الإسراف في الاشتغال بمتاعها عن نفسه، فإنَّ أيَّ نوع منه قد يشغله وينْسيهِ نَفْسَهُ، فكثير من الناس يفنون أعمارهم في اللهو واللعب كالشطرنج، لأنهم مخدوعون إلا ماشاء الله. فالعاقل من ينتفع بعمل صالح مع النية الصالحة, لأن ليس لمتاع الدنيا غاية ينتهي العامل إليها فتسكن نفسه، فمن هدي الدين تنبيه الناس إلى ذلك حتى لا تغلب عليهم الحيوانية فيكونوا من الهالكين. [26] فهذا الشاهد يبين الحكمة الكامنة في الآية.

صِرٌّ

لَا تَعْدِلَنَّ أَتَاوِيّينَ تَضْرِبُهُمْ نَكْبَاءُ صِرٌّ بِأَصْحَابِ الْمُحِلَّاتِ[27]

الشاهد في قول الشاعر:(صِرٌّ) بالكسر هو شدة البرد، وقيل الريح الباردة نحو الصرصر كما قالت ليلى الأخيلية:

لَمْ تَغْلِبِ الْخَصْمَ الْأَلَدَّ وَتَمْلَأِ الْ جِفَانَ سَدِيفًا يَوْمَ نَكْبَاءَ صَرْصَرِ [28]

والشاهد في هذا البيت في كلمة (صرصر) ثم نقل الإمام أقوال علماء اللغة مثل الزمخشري الذي قال: أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى " فيها قرة صر"كما تقول:"برد بارد" على المبالغة. والثاني أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد. ثم نقل عن الأنباري الآية في ثلاثة أقوال أحدها فيها صر أي برد، والثاني فيها تصويت وحركة. ثم ذكر عما نقل عن ابن عباس قول آخر: فيها صر قال: فيها نار يعني حرا شديدا. وأنكر الإمام كلمة الحر، وقال: إنه لا يهلك الحرث بمجرد إصابته وإنما يهلكه البرد فهو المراد حتما، وقال الإمام: أصل مادة الصر هو الشدة، وقد تكون الشدة في الصوت ومنه { فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ }[29]، كما تكون في البرد، فاالصر في قوله تعالى: {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[30]. هو البرد الشديد حتما.

"الحوب"

فَإِنِّي وَمَا كَلَّفْتُمُونِي مِنْ أَمْرِكُمْ لِيُعْلَمَ مَنْ أَمْسَى أَعَقَّ وَأَحْوَبَا[31]

هذا قول الأعشى، ومحل الشاهد هو" أحوبا"، والحوب: الإثم، وكانت كلمة "الحوب" تستخدم لزجر الإبل, ويقال يتحوب من كذا أي يتأثم، والحوباء قيل: هي النفس، وحقيقتها هي النفس المرتكبة للحوب، وكلمة "الحوب" هوالإثم بلغة الحبشة، وكان العرب تعرف ذلك والدليل قول الأعشى: (لِيُعْلَمَ مَنْ أَمْسَى أَعَقَّ وَأَحْوَبَا)، وَحَابَ يَحُوبُ حُوبًا وَحَابًا قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ، وَهُمَا كَالْقَوْلِ وَالْقَالِ، وَقَالَ الْقَفَّالُ: أَصْلُهُ التَّحَوُّبُ وَهُوَ التَّوَجُّعُ، فَالْحُوبُ: ارْتِكَابُ مَا يُتَوَجَّعُ مِنْهُ.

آية

تَتَأَيَّا الطَّيْرُ غُدْوَتَهُ ثِقَةً بِالشِّبَعِ مِنْ جُزُرِهِ(32)

فالشاهد في قوله (تَتَأَيَّا), وبهذا الشاهد شرح الإمام محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى معانى الموجودة في "كلمة "آيَاتِنَا" الواردة في قوله تعالى {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}[33]فالآيات جمع آية وهي كما قال الجمهور: العلامة الظاهرة، ثم بين الإمام اشتقاق كلمة"الآية

بأنها مشتقة من "التَّأَيِّي"الذي هو التثبت على الشئ، بل أكد الإمام بأن أصله قصد آية الشئ أي شخصه ثم ذكر الشاهد من قول الشاعر لتأييد قوله. وفسر كلمة"تَتَأَيَّا"،أيْ تَتَحَرَّى الطَّيْرُ وتقصد خروجَه صباحًا إلى الصيد لثقتها بما سبق من التجاربِ بأنْ تَسْتَشْبِعَ مما يترك لها من الفرائس، وأطلقت الآية على كل قسم من الأقسام التي تتألف منها سور القرآن، ويقف القارئ عندها في تلاوته، وهي الآيات المنزلة من عندالله, وهي دلائل لفظية على العقائد والحكم والأحكام والآداب. (34)

الصبر

صَبَرْتُ وَلَا وَاللهِ مَا لِيَ طَاقَةٌ عَلَى الصَّبْرِ، وَلَكِنِّي صَبَرْتُ عَلَى الرَّغْمِ(35)

فالشاهد في قول الشاعر (الصَّبْرِ), وبهذا الشاهد شرح الإمام معانى كلمة الصَّبْرِ، الواردة في قوله تعالى:{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}(36). الصبر هو حبس النفس على ما تكره، أو بعبارة أوضح هو احتمال المكروه بنوع من الرضى والاختيار والتسليم؛ لأنه لو لم يكن كذلك لكان كما يقول العامة في أمثالهم، ثم ذكر مَثَلًا بمعنى قول الشاعر: صَبَرْتُ وَلَا وَاللهِ ....الخ، فالصبر الحقيقي المبني على التسليم بتذكر وعد الله بالجزاء الحسن للصابرين على أعمال البر التي تشق على النفس.

أَمْ

فَوَاللهِ لَا أَدْرِي أَهِنْدٌ تَقَوَّلَتْ أَمِ الْقَوْمُ أَمْ كُلٌّ إِلَيَّ حَبِيبُ؟(37)

الشاهد في قول الشاعر" أَم"، بعد ذكر هذا الشاهد ذكر الإمام آراء المفسرين الذين قالوا: هذه (أَم) منقطعة للإضراب عن عدم علمهم بالسابق إلى الإستفهام عن اقتراحهم، فهي تتضمن الْإِضْراب والاسْتِفْهَامَ مَعًا. وذلك في تفسير (أَمِ) في قوله تعالى: {أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ }(38) ثم بين الإمام رأي أستاذه بأن (أَمْ) هنا للاستفهام لا للإضراب؛ وبين الدليل على رأيه وهو (أَمْ) التي تُستعمَلُ بمعنى (بَلْ) يُقصدُ بها الْإِضرابُ عن الكلامِ السابق، ولا يَظهرُ الْإِضرابُ هنا. هَذَا مَا اخْتَارَهُ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ مِنْ قَوْلِ الذين استشهدوا لِ (أَمِ) الاستفهاميةِ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ: فَوَاللهِ لَا أَدْرِي أَهِنْدٌ تَقَوَّلَتْ ...أم ..الخ.

صيام

خَيلٌ صِيامٌ وَخَيلٌ غَيرُ صائِمَةٍ(39) تَحتَ العَجاجِ وَأُخرى تَعلُكُ اللُجُما

الشاهد في"صِيامٌ" لتفسير كلمة الصيام في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(40) أيْ: مع الصيامِ عن شهواتِ الزوجيةِ

والشرابِ والطعامِ. ثم ذكر قول البيضاويُّ: إن الصومَ في اللغةِ: الْإمساك عما تنازع إِلَيْه النفسُ، لا مطلق الإمساك، ثم نقل قول أبي عبيدةَ من رواة اللغة: كل ممسك عن طعام أو كلام أوْ سيْر فهو صَائِمٌ. واستشهد من قول النابغة الذبياني: خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ...

خشي

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَكُنْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنَيْ ضَمْضَمِ[41]

هذا البيت من معلقة عنترة بن شداد، والشاهد في "خشيت"، وهي كما في المعاجم الخوف، وقال الراغب: هي خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه; وَلِذَلِكَ خُصَّ الْعُلَمَاءُ بِهَا فِي قَوْلِهِ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[42] الإمام محمد رشيد بن علي رضا بين اختلافه ويقول: إن القيدَ الذي ذكره لا يظهرُ في كل الشواهد التي وردت من هذا الحرف في القرآنِ، ثم ذكر دليله على رأيه من قول عنترة بن شداد، فلم يكنْ عند عنترة خوف مشوبٌ بتعظيم ولا علم فيما عَبَّرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ:(وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَكُنْ ...)

وذكر الإمام هذا الشاهد في تفسير كلمة "وَلْيَخْشَ" في قوله تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا}[43] فإن كان بين الخوف والخشية فرق فالأقرب عند صاحب تفسير المنار أن تكون الخشية هي الخوف في محل الأمل. ثم ذكر الإمام محمد رشيد رضا أصل مادة الخشية من خشت النخلة تخشوا إذا جاء تمرها رديئا، وهي مما يرجى منها الجيد.

رحمان

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا وأنت غيث الورى لازلت رحمانا [44]

الشاهد في قول الشاعر"رحمانا"وأورد الإمام محمد رشيد عجز البيت من هذا الشعر في تفسير كلمة "الرَّحْمَنِ" في قوله تعالى:{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[45]،وأشار الإمام خلال تفسير الآية إلى مباحث اللغة بأن لفظ الرحمن خاص بالله تعالى كلفظ الجلالة قَالوا: لم يُسْمَعْ عن أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ أنه أَطْلَقَه على غَيْرِ اللهِ تَعَالَى إِلا فِي هذا البيت من الشِعْر لرجل من بنى حنيفة يمدح مسيلمة الكذاب وهذا من تعنته في كفره، وتعمقه في الباطل وغلوه في مدح المسيلمة الكذاب.

كلالة

نَسَبٌ تَتَابَعَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَالرُّمْحِ أُنْبُوبًا عَلَى أُنْبُوبِ[46]

والبيت الشاهد من قصيدة البحتري، ومحل الشاهد"كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ"والمعنى القويّ: تساويهم في الفضائل، وتناسقهم فيها واحدا بعد واحد، وليس أحدهما بأفضل من الآخر، لأن «عن» في التركيب،

بمعنى (بعد) كقوله تعالى: { لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ}[47].وكلمة «كابر» ذكروا لها ثلاثة معان: الأول: بمعنى «كبير» والثاني: أنه للمبالغة من كابرته، فكبرته، أي: غلبته في الكبر، وأنا كابر.والثالث: أنه اسم بمعنى الجمع. وذكرصاحب تفسير المنار هذا البيت في تفسير كلمة "كلالة" في قوله تعالى: { ولَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ}[48]. ونقل قول البعض لتوضيح كلمة كلالة، قيل: كلت الرحم بين فلان، وفلان إذا تباعدت القرابة، وحمل فلان على فلان، ثم كَلَّ عنه إذا تباعد، ومنه سميت القرابة البعيدة كلالة. وعند الرازي الكلالة في أصل اللغة عبارة عن الإحاطة، ومنه الإكليل لإحاطته بالرأس، ويقال: تكلل السحاب إذا صار محيطا بالجوانب. قال : إذا عرفت هذا، فنقول من عدا الوالد والوالد إنما سموا بالكلالة ; لأنهم كالدائرة المحيطة بالإنسان، وكالإكليل المحيط برأسه، أما قرابة الولادة فليست كذلك، فإن فيها يتفرع البعض عن البعض، ويتولد البعض من البعض كالشئ الواحد الذي يتزايد على نسق واحد، وهنا الشاهد من قول البحتري: نَسَبٌ تَتَابَعَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ....

اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ

وَبِتْنَا وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ثَالِثٌ كَزَوْجِ حَمَامٍ أَوْ كَعُصْنَيْنِ هَكَذَا

فَمِنْ بَعْدِ هَذَا الْوَصْلِ وَالْوُدِّ كُلِّهِ أَكَانَ جَمِيلًا مِنْكَ تَهْجُرُ هَكَذَا؟[49]

الشاهد في " أَكَانَ جَمِيلًا مِنْكَ تَهْجُرُ هَكَذَا؟" والاستفهام في البيت للإنكار والتوبيخ، وهذا الشاهد لشرح الاستفهام في الآية الكريمة في قوله تعالى: {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا}[50] أَيْ أَتَأْخُذُونَ ذَلِكَ الشَّيْءَ بَاهِتِينَ إِيَّاهَا كَاذِبِينَ عَلَيْهَا بِنِسْبَةِ الْفَاحِشَةِ إِلَيْهَا؟، أو الاستفهام للتعجب مِن حال مَن تمتع بامرأته وعاملها معاملة الأزواج، ثم رغب عنها، وفي البيت شاهد لبيان الحال، وكذلك الآية من باب الكناية، وإنما تكون فيما لا يحسن التصريح به، وهذا من حسن نزاهة القرآن في التعبير وأدبه العالي في الخطاب.

محصنات

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ[51]

هذا البيت من الشعر لحسَّانَ بنَ ثابتٍ رَضيَ اللهُ عنه في مدح أُمِّ المؤمنينَ عائشةَ رَضيَ اللهُ، (حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ)[52]، أي: عَفيفةٌ صاحِبةُ وَقارٍ لا تُتَّهمُ بالشَّكِّ والظَّنِّ لعِفَّتِها، ومحل الشاهد"حصان" لتفسير الكلمة"الْمُحْصَنَاتُ" في قوله تعالى: { وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}[53]والمحصنات: جمع محصَنة بفتح الصاد، اسم مفعول من أحصن,وقيل: الإحصان من الحصن وهو المكان المنيع المحمي,ويقال: حصُنت المرأة، أي: عفت فهي حاصن وحاصنة وحصان وحصناء. المرأة العفيفة يقال لها :محصنة.

حسد

إِنِّي لِأَرْحَمُ حُسَّادِي لِفَرْطِ مَا ضَمَّتْ صُدُورُهُمْ مِنَ الْأَوْغَارِ
نَظَرُوا صَنِيعَ اللهِ بِي فَعُيُونُهُمْ فِي جَنَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ فِي النَّارِ[54]

الشاعر يبين حقيقة الحسد، فالحسد خُلُق مذموم طبعاً وشرعاً، الحاسد يحب زوال النعمة عن أخيه وإن كانت لا تنتقل إليه بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به.. والحاسد يضر نفسه باكتساب الذنوب لأن الحسد حرام، فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله. وتألم قلبه من كثرة همه وغمه. وأرشدنا الله بقطع عرق الحسد وهو التمني الذي قد يكون حسدا وهو المنهي عنه كما هو ظاهر الآية { وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}[55] فيتبين للحاسدين أنهم يسيئون إليها أكثر مما يسيئون إلى محسوديهم؟ ألا يجدون لأنفسهم مصرفًا عن نار الحسدِ التي تطلعُ على أفئدتهم.

أذاع

أَذَاعَ بِهِ فِي النَّاسِ حَتَّى كَأَنَّهُ بِعَلْيَاءَ نَارٌ أُوقِدَتْ بِثَقُوبِ[56]

الشاهد في كلمة" أذاع"ويقول ابن منظور: وأذاع الناس والإبل ما وبما في الحوض إذاعة إذا شربوا ما فيه. وأذاعت به الإبل إذاعة إذا شربت. وتركت متاعي في مكان كذا وكذا فأذاع الناس به إذا ذهبوا به. وكل ما ذهب به، فقد أذيع به. والمذياع: الذي لا يكتم السر، وقوم مذاييع. وفي حديث علي، كرم الله وجهه، ووصف الأولياء: ليسوا بالمذاييع البذر، هو جمع مذياع من أذاع الشئ إذا أفشاه، وقيل: أراد الذين يشيعون الفواحش وهو بناء مبالغة. [57]

وصاحب تفسير المنار جاء بهذا البيت لتفسير " أَذَاعُوا" في قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}[58]

وقيل: إن هذه الآية في المنافقين، وهم الذين كانوا يذيعون بمسائل الأمن والخوف، وهناك من يقول: أن الإذاعة بمثل أحوال الأمن والخوف لا تكون دأب المنافقين خاصة، بل هي مما يلغط به أكثر الناس، وإنما تختلف النيات، فالمنافق قد يذيع ما يذيعه لأجل الضرر، وضعيف الإيمان قد يذيع ما يرى فيه الشبهة.

غرقد

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشَيْتُهَا بِالْغَرْقَدِ كَالْوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخَلَّدِ[59]

محل الشاهد من قصيدة زهير ابن أبي سلمى "الغرقد"، قال ابن منظور: الغرقد : شجر عظام وهو من العضاه واحدته غرقدة وبها سمي الرجل . قال أبو حنيفة : إذا عظمت العوسجة فهي الغرقدة . وقال بعض الرواة : الغرقد من نبات القف . والغرقد : كبار العوسج وبه سمي بقيع الغرقد مقابر بالمدينة لأنه كان فيه غرقد وقطع، وفي حديث أشراط الساعة : إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود؛ وفي رواية: إلا الغرقدة؛ هو ضرب من شجر العضاه وشجر الشوك، والغرقدة واحدته. [60]

مخلد

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشَيْتُهَا بِالْغَرْقَدِ كَالْوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخَلَّدِ[61]

الشاهد في كلمة "المخلد" لتفسير" خالدين" في قوله تعالى:

{ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا }[62]

أي يدخلونها ويذوقون عذابها حال كونهم خالدين فيها أبدا. قيل أن لفظ الخلود الدائم الذي لا نهاية له، فالخلود في اللغة بقاء الشى مدة طويلة على حال واحدة لا يطرأ عليه فيها تغير ولا فساد. وقال ابن منظور في اللسان: وخلد بالمكان يخلد خلودا، من باب نصر، وأخلد: أقام، وخلد –كضرب ونصر– خُلْدًا وَخُلُودًا.

أجل

فَإِنْ تَكُ أُمُّ ابْنِي زَمِيلَةُ أَثْكَلَتْ فَيَا رُبَّ أُخْرَى قَدْ أَجَلْتَ لَهَا ثَكْلَا[63]

الشاهد في قوله: "أَجَلْتَ لَهَا ثَكْلَا"، وأورد هذا الشاهد في تفسير الآية (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ) في قوله تعالى:

{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ }(64)

ونقل قول الأزهري: والأصل في قولهم فعلته مِنْ أَجْلِكَ: أَجَلَ عَلَيْهِمْ أَجَلًا ; أَيْ جَنَى وَجَرَّ " ثُمَّ قَالَ: وَأَجَلَ عَلَيْهِمْ شَرًّا يَأْجُلُهُ (بِضَمِّ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا) أَجَلًا: جَنَاهُ وَهَيَّجَهُ، ثم ذكر قول أبو زيد: أَجَلْتُ عَلَيْهِمْ آجُلُ أَجَلًا ; أَيْ جَرَرْتُ جَرِيرَةً، يقال: جلبت عليهم وجررت وأجلت بمعنى واحد ; أَيْ جَنَيْتُ. وبعد تتابع الأقوال رجح معنى الأجل هو جلب الشيء الذي له عاقبة أو ثمرة.

طعم

فَأَمَّا بَنُو عَامِرٍ بِالنِّسَارِ غَدَاةَ لَقُونَا فَكَانُوا نَعَامًا
نَعَامًا بِخَطْمَةِ صُعْرِ الْخُدُو دِ، لَا تَطْعَمُ الْمَاءَ إِلَّا صِيَامًا(65)

والشاهد في قول الشاعر:" تَطْعَمُ"، والطعام ما يؤكل، والطعم بالفتح ما يدرك بذوق الفم من حلاوة ومراراة وغيرهما يقال: طعم(كعلم)فلان بمعنى أكل الطعام وطعم الشيء يطعمه ذاق طعمه أو ذاقه فوجد طعمه منه، استعمل في ذوق طعام الشيء من طعام وفي قوله تعالى{فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا }(66) أَيْ أَكَلْتُمْ، وقد استعمل أيضا في ذوق طعام الشيء من شراب كما في قوله تعالى{(فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي}(67) أَيْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ مَائِهِ.

ثم نقل قول الجوهري: الطعم بالفتح ما يؤديه الذوق، يقال طعمه مر أو حلو. وأورد صاحب تفسير المنار هذا الشاهد في تفسير كلمة " طعموا" في قوله تعالى{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }(68).

فَإِنْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نُقَاخًا وَلَا بَرْدًا(69)

واستشهد المفسر أيضا بشعر عمر ابن أبي ربيعة، وصرح ابن منظور في لسان العرب بأن طعم بمعنى أكل الطعام، وأنه إذا جعل بمعنى الذوق جاز فيما يؤكل ويُشرب، واستشهد المفسر بقول عمر ابن أبي ربيعة، النُّقَاخُ بالضم الْماء البارد، والبرد النومُ، قال الزمخشري: ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النومُ، ويُقال: ما ذقتُ غماضًا. وقال الآلوسي في تفسيره: وأما استعماله (أي طعم الْمَاءَ) بمعنى شربه واتخذه طعامًا فقبيح إلا أن يقتضيه المقامُ، كما فِي حديث: " زَمْزَمُ طَعَامُ طُعْمٍ وَشِفَاءُ سُقْمٍ " فإنه تنبيه على أنها تغذي بخلاف سائر المياه.

حواري

فَقُلْتُ إِنَّ الْحَوَارِيَّاتِ مَعْطَبَةٌ إذا تَفَتَّلْنَ مِنْ تَحْتِ الْجَلَابِيبِ (70)

الشاهد في كلمة "الحواريات" واستشهد بهذا البيت بأن الأعراب تسمى الأمصار حواريات لبياضهن وتباعدهن من قشف الأعراب بنظافتهن ، وأورد هذا البيت في تفسير كلمة "الحواريين" في قوله تعالى: { وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ }[71]، والحواريون جمع حواري وهو من خلص لك، وأخلص سرا وجهرا في مودتك ومعناه في أصل اللغة الأبيض النقي اللون، والحواريات من النساء النقيات الألوان والجلود لبياضهن.

رَضِيَ

قَوْمٌ تَخَالَجَهُمْ زَهْوٌ بِسَيِّدِهِمْ وَالْعَبْدُ يُزْهَى عَلَى مِقْدَارِ مَوْلَاهُ [72]

واستشهد بهذا البيت في تفسير كلمة "رضي " في قوله تعالى: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }[73].فإن رضا اللهِ تعالى عنهم ورضاهم عنه هو غايةُ السعادةِ الأبديةِ في نفسه، وفيما يترتب عليه من عطاياه تعالى وإكرامه، ومن كونهم يكونون ناعمين بذلك الإكرام ، إذ لا مطلبَ لهم أعلى منه فتشتاق قلوبهم له حتى يتوقف رضاهم عليه، فإن علم الإنسان برضا الله عنه يجعله في هناءٍ وطمأنينةِ قلبٍ، ويكون سروره وزهوه بذلك على قدر مقام الراضي عنه، وهو مولاه كما قال الشاعر:

قَوْمٌ تَخَالَجَهُمْ زَهْوٌ بِسَيِّدِهِمْ وَالْعَبْدُ يُزْهَى عَلَى مِقْدَارِ مَوْلَاهُ

على أن مرضاةَ رؤساءِ الدنيا لا يستلزم رضاء المرءوسِينَ دائمًا; لأنَّ منهم الظالمين الّذين لا يوفون أحدا حقه وإن كانوا راضينَ عنه، ورضوان أكرم الأكرمين يستلزم رضا من رضي هو عنه لأنه يعطيه أضعاف ما يستحق، وفوقَ يرجُو، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ آلم السَّجْدَةِ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[74]، وَرِضْوَانُهُ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ بِمَعْنَى مَا هُنَا: {وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[75].

لَهْوٌ

اللهوُ: ما يشغلُ الإنسانَ عما يعنيهِ ويهمهُ، ويعبر عن كل ما به استمتاع باللهوِ، كذا قال الراغبُ، وفي اللسان: اللهوُ ما لهوتَ به، ولعبتَ به، وشغلكَ من هوى وطرب ونحوهَا، ثم قال: يقال لهْوْتُ بالشيءِ ألهو به لهوًا وتلهَّيْتُ بِهِ – إذا لعبتَ به وتشاغلتَ وغفلتَ به عن غيره.

بين صاحب التفسير رأيه عن اللهو وقال: إنَّ الأصلَ في اللهْوِ إذا أُطلقَ يُرادُ به ما يَشغَلُ الإنسانَ مِن لعبٍ وطربٍ ودواعي سُرورٍ، وارتياحٍ عما يتعبه ويشقُّ عليه من الجد أو يحزنه أو يسوءه من

خطوب الدنيا ونكباتها. ثم توسع به فصار يطلق أحيانًا على ما يسرُّ ويلذُّ وإن لم يقصد به التشاغل عن أمورِ الْجِدِّ، كمغازلة النساءِ والاستمتاعِ بهن، ومنه قول امْرِئِ الْقَيْسِ:

أَلَا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ الْيَوْمَ أَنَّنِي كَبِرْتُ وَأَلَّا يُحْسِنَ اللهْوَ أَمْثَالِي[76]

وقد يطلق أيضًا على جدٍّ يُتشاغَلُ به عن جدٍّ آخَرَ، ولكن الذي عُرِفَ اسْتعمالُه في ذلك الفِعْلُ لا المصدرُ، فلا يقالُ: إن هذا الفعلَ لَهْوٌ، بل يقالُ لَهَوْتُ بِكَذَا عَنْ كَذَا، أَوْ تَلَهَّيْتُ أَوِ الْتَهَيْتُ بِهِ عَنْهُ. وَمِنْهُ {فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى}[77].وإنما تشاغل رسولُ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن الأعمى بالتصدِّي لدعوة كُبَرَاءِ قريشٍ إلى الإسلامِ لا بشيء فيه طربٌ ولا سرورٌ نفسيٌّ يسمى لَهْوًا بإطلاقٍ. وكل هذا التفسير لبيان معنى الآية: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }[78].

والمعنى أنَّ هذه الحياةَ الدنيا التي قال الكفارُ: إنه لا حياةَ غيرُها – وهي ما يتمتعون به من اللذات المقصودة عندهم لذاتِها، أو الملهية لهم عن همومها وَأكدارها – ليست إلا لعبًا ولهوًا أو كاللعبِ واللهوِ في عدم استتباعِها لشيء من الفوائد والمنافعِ يكون في حياة بعدها، أو هي دائرة بين عملٍ لا يفيدُ في الْعاقبة – فهو كلعب الأطفالِ – وبين عمل له فائدة عاجلة سلبَةٌ، كفائِدةِ اللهوِ هو دفعُ الهمومِ والآلامِ.

التَّأَسِّي

[أسا] أسيته تأسية، أي عزيته. وآسَيْتُهُ بمالي مواساةً، أي جعلته إسْوَتِي فيه. وواسَيْتُهُ لغةٌ ضعيفةٌ فيه.[79] ولقد ذكر المفسر أبيات الخنساء من مراثيها الخالدة لأخيها صخر، فاضت نفسها حزنا لفقد أخيها، حزن قاتل لولا التأسي بالآخرين كما أخبرت بقولها:

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّي[80]

واستشهد بهذه الأبيات لبيان تفسير الآية {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ }[81]. هذه الآية تسلية للرسول– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لأنها تبين بأن جميع الرسل الذين أرسلوا إلى أقوامهم كذبوا فصبرو على تكذيبهم لهم ،كما أخبر سبحانه في سورة الفاطر:

{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}[82]. فالتأسي من مقتضى الطبع البشري، ولذلك نجد تكرار تسلية مرة بعد مرة في القرآن كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ }[83]. ومن التجارب البشرية بأن التأسي يعين على الصبر على المصائب،

ولذلك صرح بوجوب هذا الصبر عليه تأسيًا في قوله:{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}[84].

.....

الهوامش

[1]() علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي 1975م،ط1991،ص:3.

[2]() مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ،الشاهد البوشيخي، ط 1982،1م، ص: 18.

([3]) المنار (42/1).

([4]) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: 1122هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417هـ-1996م، عدد الأجزاء: 12، ج 4،ص 105.

[5]() العباس بن مرداس أسلم قبل فتح مكة وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من أعطى من المؤلفة قلوبهم ،لم يسكن مكة ولا المدينة وكان يغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم [ويرجع إلى بلاد (معجم الصحابة للبغوي)

([6]) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، ج 4،ص 105.

[7]() سورة البقرة: الآية:17.

[8]() سورة المنافقون: الآية:3.

[9]() سورة الزمر: الآية:22.

([10]) المنار (43/4).

[11]() سورة آل عمران: الآية:106.

[12]() سورة الزمر: الآية: 60.

[13]() سورة يونس: الآية: 26.

[14]() سورة عبس: الآية: 39.

[15]() سورة القيامة: الآية: 22.

[16]() سورة المطففين: الآية: 24.

[17]() سورة الرحمن: الآية: 41.

[18]() سورة النحل: الآية: 58.

([19]) المنار (192/4).

[20]() سورة آل عمران: الآية:169-170.

([21]) المنار (192/4).

[22]() سورة البقرة: الآية:154.

([23]) المنار (224/4).

([24]) كتاب شرح ديوان المتنبي للواحدي، ص 305.

[25]() سورة آال عمران: الآية:186.

([26]) المنار (224/4).

([27]) المنار (64/4).

([28]) المنار (64/4).

[29]() سورة الزاريات: الآية: 29.

[30]() سورة آل عمران: الآية:117.

([31]) المنار (279/4).

([32])- المنار (238/1).

[33]() سورة البقرة: الآية:39.

([34])- المنار (238/1).

([35])- المنار (238/1).

[36]() سورة البقرة: الآية:45.

([37])-المنار (343/1).

[38]() سورة البقرة: الآية:108.

([39])المنار (116/2).

[40]() سورة البقرة: الآية:183.

([41]) المنار (322/4).

[42]() سورة فاطر: الآية:28.

[43]() سورة النساء: الآية:9.

([44]) المنار (45/1).

[45]() سورة الفاتحة: الآية:3.

([46]) المنار (346/4).

[47]() سورة الانشقاق: الآية:19.

[48]() سورة النساء: الآية:12.

([49]) المنار (376/4).

[50]() سورة النساء: الآية:12.

([51]) المنار (4/5).

([52])ا صحيح البخاري ، الرقم : 4755.

[53]() سورة النساء: الآية:24.

([54]) المنار (52/5).

[55]() سورة النساء: الآية:32.

([56]) المنار (242/5).

([57]) لسان العرب ، ابن منظور، ج-8، ص 99.

[58]() سورة النساء: الآية:83.

([59]) المنار (65/6).

([60]) لسان العرب ، ابن منظور، ج-11، ص 41.

([61]) المنار (65/6).

[62]() سورة النساء: الآية:169.

([63]) المنار (291/6).

[64]() سورة المائدة الآية:32.

([65]) المنار (59/7).

[66]() سورة الأحزاب الآية:53.

[67]() سورة البقرة الآية:249.

[68]() سورة المائدة الآية:93.

([69]) المنار (59/7).

([70]) المنار (207/7).

[71]() سورة المائدة الآية:111.

([72]) المنار (228/7).

[73]() سورة المائدة الآية:119.

[74]() سورة السَّجْدَةِ الآية: 17.

[75]() سورة التوبة الآية: 72.

([76]) المنار (228/7).

[77]() سورة عبس الآية: 10.

[78]() سورة الأنعام الآية: 32.

([79]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م، فصل الألف، باب الواو.

([80]) المنار (315/7).

[81]() سورة الأنعام الآية: 34.

[82]() سورة الفاطر الآية: 25.

[83]() سورة الحج الآية: 42.

[84]() سورة الأحقاف الآية: 35.